

المرجعيات الكبرى والأدوار التي تؤديها المبادئ الأساسية للعقل عند أرسطو داخل شبكة المعارف

The major references and the roles played by the basic principles of reason in
network of knowledge Aristotle within the

أ. تيلوين مصطفى^{*1}

¹tiliounemustapha2@gmail.com جامعة وهران 2

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/12

تاريخ الاستلام: 2023/08/01

ملخص:

-تُعتبر المبادئ الأساسية للعقل عند أرسطو من المفاهيم الحيوية داخل المنظومة المنطقية واعتبرها بمثابة روح المنطق.

-ومن الصعوبات الأساسية في فلسفة أرسطو هي تلك العلاقة الممكنة بين المنطق ونظرية المعرفة، باعتبار أن المعرفة مُستَقاة من أصلٍ يختلف عن المنطق، لكن بالرغم من ذلك يَلْتَقِيَان كِلَاهُمَا في بعض النقاط المشتركة، كبداية بعض القضايا، وكلاهما يستعمل الاستدلال العقلي، والاستقراء التجريبي للوصول إلى الحقائق، ومن هنا وجب أن نتساءل:

-ماهي العلاقة التي يمكن أن تُوجَدَ بين مَعْرِفَةِ بالقضايا الكلية ومعرفة بالحس والاستقراء؟

ونستنبط من كل هذا أن الحس يلعب دوراً أساسياً ومُهمّاً في تكوين علم موضوعه الكل والشمول والعام، ولقد ميّز أرسطو ووضع حدّاً فاصلاً بين الخصائص الجوهرية الماهوية والخصائص العرضية المتغيرة، ومن هنا طرح أرسطو السؤال: من هي؟

-ويطرح سؤالاً آخر مُكَمِّلاً للسؤال الأول: كيف هي؟

-وهنا يتمركز هذا السؤال حول مفهوم الماهية الجزئية والفردية، باعتبار هذه الأخيرة تلعب دوراً في بناء العلم.

كلمات مفتاحية: المنطق ، العقل ، المبادئ، الارغانون، الميتافيزيقية، مبدأ الهوية ، مبدأ عدد التناقض ، المبدأ الثالث المرفوع ، المنطق الصوري ، المقولات .

Abstract:

Aristotle's basic principles of the mind are central to his logical system, which he considers the foundation of logic. A key issue in his philosophy is the relationship between logic and the theory of knowledge, as knowledge and logic have different origins but

intersect in areas like obvious truths, mental inference, and empirical induction. Aristotle explores how knowledge of universal issues relates to knowledge derived from sense perception and induction. He concludes that science concerns universal knowledge, while sense perception focuses on partial qualities and individual essences. Sense plays a crucial role in forming general, inclusive science. Aristotle distinguishes between essential characteristics and accidental ones, focusing on the concept of essence in understanding science.

- And he raises another question that complements the first question: How is it?

Here, this question centers around the concept of partial and individual essence, given that the latter plays a role in building science.

Keywords: Logic, reason, principles, argannon, metaphysics, the principle of identity, the principle of the number of symmetry, the principle of the third subscript, formal logic, categories.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تعتبر المبادئ الأساسية للعقل من المفاهيم الجوهرية والمركزية في فلسفة أرسطو، بشكل عام، وفي المنطق بشكل خاص، وذلك للأهمية التي تكتسبها والوظيفة التي تلعبها وتؤديها داخل نظام العلم والمعرفة عند أرسطو، وما سيأتي لاحقاً في تاريخ الفلسفة، ولقد أولى أرسطو لهذه المبادئ قيمة معرفية وميتافيزيقية ومنهجية، في الكثير من مؤلفاته، وأثر لاحقاً في الكثير من الفلاسفة، وعلى رأسهم ديكارت، ومن هنا وجب أن نتساءل:

- ما هو المبدأ؟ كيف عرفه أرسطو؟ ماهي طبيعته؟ ماهي أشكاله؟ و ماهي مرجعياته الكبرى والأدوار التي يؤديها داخل شبكة المعارف سواء أكانت علمية، ميتافيزيقية أو أخلاقية؟ وماهي التأثيرات الفعلية التي تركتها هذه المبادئ على الفلسفات اللاحقة، وبالأخص على الفيلسوف الفرنسي الحديث روني- ديكارت؟

و قبل تحليل هذا الموضوع يجب ولضرورة معرفية ومنهجية أن نعرف هذه المبادئ انطلاقاً من فلسفة أرسطو، لنتساءل في البداية: كيف يُعرَّف المبدأ لديه؟ وماهي أشكال المبادئ عنده؟

2. تعريف المبدأ:

1.2. التعريف اللغوي: المبدأ بالفرنسية (le principe) مشتق من اللاتينية (Principium) ومعناه البداية أو المبدأ (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 330) الأول.

2.2. التعريف الإصلاحي: تعطى عدة تعريفات لمصطلح مبدأ:

أ. فمن ناحية الزمن: هو البداية، نقطة الانطلاق. (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 330)

ب. ومن ناحية السبب: فهو سبب أو علة لشيء ما، أو مصدر لفعل ما. (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 330)

ج. ومن زاوية ابستمولوجية: هو قضية تحكم فرع من فروع العلم، مثل مبدأ أرخميدس، أو هو نظرية في العلم أساسية ومؤسسة مثل مبدأ الجاذبية عند نيوتن. (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 330)

د. ومن الناحية المنطقية: هو قضية أساسية في عملية الاستدلال أو البرهنة. (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 330)

هـ. وفي المجال المعياري: هو قاعدة أو معيار يحكم الفعل الأخلاقي. (Aristotle, 1979, p. 247)

3. تعاريف الفلاسفة:

لقد أعطى الفلاسفة منذ أرسطو تعريفات كثيرة لمفهوم المبدأ أهمها: تعريفات أرسطو، ديكارت وكانط.

- فكيف يُعرَّف أرسطو المبدأ؟

- يُعرَّف أرسطو في كتابه الميتافيزيقا المبدأ: "بأنه نقطة انطلاق معرفتنا بالشيء،

المقدمات هي بمثابة المبادئ لعملية البرهنة". (Descartes, 1976, p. 563)

- ويعرفه ديكارت في كتابه مبادئ الفلسفة: "ولكن عندما أضَع كذلك الحقائق بين

مبادئ المعروفة في الزمان ولدى العالم، فلا يُوجد شَخْصٌ إلى الوقت الحالي عَرَفَ أنها مبادئ

أساسية في الفلسفة، بمعنى أنَّ من خلالها يمكن أن نستنتج ونستنبط كل المعارف الأخرى المُستقاة من الأشياء الموجودة في العالم". (Kant, 1980, p. 163)

-ويعرفه كانط في كتابه نقل العقل الخالص بما يلي: "المبادئ ماهي إلا قواعد

استعملية وموضوعية للمقولات". (Kant, 1983, p. 121)

-ويعرفه إيمانويل كانط كذلك في كتابة المنطق: "هو مجموعة من الأحكام القبلية المباشرة واليقينية، تساعد للبرهنة على أحكام أخرى، ولهذا السبب تسمى كذلك بالقضايا الأولية".

(Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 188)

-ولقد قسّم أرسطو المبادئ الأساسية للعقل إلى مجموعة أساسية لبناء المعرفة

العلمية والميتافيزيقية والمنطقية، أهمها:

3. 1. مبدأ الهوية (Principe d'identité):

أ. تعريف لغوي: هُويّة: "بالفرنسية (Identité) مشتقة من اللاتينية

(Identitas) ومعناها الشيء نفسه". (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 188)

(188)

ب. تعريف إصطلاحي: "تُعرّف الهوية على أنها صفة الشيء الثابتة غير المتغيرة".

(Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 188)

وتُعرّف في علم النفس: "على أنها وحدة الشخصية تبقى مماثلة ومشابهة لذاتها في الزمن".

(Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 188)

-ويُعرّف مبدأ الهُويّة في المنطق الصوري على أنه: "مَاهُوَ هُوَ، وَمَا لَيْسَ هُوَ لَيْسَ هُوَ، أي بالصيغة الرمزية أ هو أ ولا أ ليس أ، وتعبير آخر ماهو صحيح صحيح، وماهُوَ خاطئ".

(Aristotle, 1979, p. 275)

-ويُعرّفه أرسطو على أنه: "وحده الوجود، أو وحدة لكثرة الموجودات" (Russ &

(Badal-Le Quil, 2004, p. 188)

3. 2. مبدأ عدم التناقض (Le principe de la non contraction):

أ. تعريف عام: "هو مبدأ" يؤكد على أنَّ قضيتين متناقضتين لا يمكنها أن تكونا

صحيحتين أو كاذبتين في نفس الوقت". (Aristotle, 1979, p. 195)

ب. تعريف أرسطو: يعرفه "بأنه من غير الممكن أن ينتهي محمولاً ما، ولا ينتهي

في موضوع ما" (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 425)

4. تعريف مبدأ الثالث المرفوع:

تعريف عام: يُعرّف مبدأ الثالث المرفوع في المنطق الكلاسيكي على أنه: "مبدأ من خلاله نجد قضيتين متناقضتين، إحداهما صحيحة والأخرى خاطئة، ويحمل مبدأ الثالث المرفوع إسمًا آخر هو مبدأ الوسط المرفوع أو الوسط المقصي" (Aristotle, 1979, p. 235)

تعريف أرسطو: "من غير الممكن أن لا يكون هناك وَسْط بين مسألتين متناقضتين، فمن الضروري إما أن نُثَبِّت أو ننفي محمولاً وَاحِدًا مهما كان في موضوع واحد" (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 52)

5. تعريف مبدأ السببية:

التعريف الإشتقائي: "مبدأ العِلَّة أو السبب بالفرنسية (la cause)" (Aristotle, 1979, p. 65) مشتقة من اللاتينية (Causa) ومعناه السبب أو العِلَّة، ويأتي على صِفَة لماذا؟ تعريف فلسفي: يُعرّف أرسطو على أنه: "بداية التَغَيُّر والسُّكون في نهاية الأمر، هو النهاية، بمعنى السبب الغائي" (Russ & Badal-Le Quil, 2004, p. 157)

6. تعريف مبدأ الغائية (La finalité):

أ. التعريف اللغوي: الغائية بالفرنسية: "La finalité" مشتقة من اللاتينية (Finalis) ومعناها ما يملك هدفًا أو يسعى باتجاه قصدٍ أو غاية" (Kant, 1973, p. 223)

ب. تعريف فلسفي: يُعرّفها كانط بقوله: "أَقْصِدُ بالغائية الخارجية تلك الواسطة بين شيء وآخر من أجل الوصول إلى نهاية، وأَقْصِدُ بالغائية الداخلية إمكانية الشيء أو الموضوع بدون اعتبار وجوده غاية أو لا". (Kanzmann, Burkard, & Wiedmann, 1993, p. 47)

بعد هذه التعريفات المُفَصَّلَة لمفهوم المبدأ في الفلسفة ولدى الفلاسفة وأشكاله المُجَسَّدة عبر تاريخ الفلسفة والمعرفة معا وَجَبَ أن نبحت في الكيفية التي استعمالها أرسطو والوظائف الجوهرية التي تؤديها داخل المنطق، الفلسفة والعلم. وقبل ذلك يجب أن نُعرِّف أرسطو وأهم أعماله.

7. بيوغرافيا موجزة لأرسطو:

أرسطو طاليس، وهذا اسمه الحقيقي، فيلسوف يوناني ولد عام 384 ق.م بِسَاجِيرَا (مقدونيا) حَالِيًا وتُوفِي 324 ق.م وبقي عشرون سنة تلميذاً لأستاذه أفلاطون في الأكاديمية، وفي سنة 342 ق.م إختاره الملك فيليب الثاني لتربية ابنه الإسكندر الأكبر، وفي سنة 335 ق.م أسَّسَ في أتينَا مدرسته المُسمَّاة بِالْمَشَائِيةِ أو الثانوية، ولقد ترك أرسطو مجموعة كبيرة وأساسية من الأعمال والإبداعات في كل المجالات المعرفية، أهمّها: الكتابات المنطقية، العلمية، الميتافيزيقية، الأخلاقية والجمالية، ففي المنطق ألَّفَ الأورغانون الذي يحتوي بدوره على كتاب المقولات، وكتاب التأويلات وكتاب التحليلات الأولى والثانية، وكتاب الطوبىقا وكتاب ضحذ السفسطائيين وفي الكتابات العلمية نجد في الفيزيكا، كتاب الروح، كتاب الحيوان، وكتاب الفلك، وفي الميتافيزيكا، نجد (14) كتابًا، وفي الأخلاق نجد كتاب السياسة، دستور الاثنين والأخلاق النيكوماخية وفي الكتابات الجمالية، نجد كتابه في البلاغة وكتابه الآخر في الشعر. (Kanzmann, 1977, p. 49)

-وبعد هذا التعريف المختصر لشخصية أرسطو الفكرية، وأهم أعماله المعرفية، سنبحث لاحقاً في الجانب العملي للمبادئ الأساسية للعقل داخل المنظومة المعرفية الأرسطية. وأهم منظومة معرفية طُبِّقَ فيها ومَارَسَ عليها هذه المبادئ هي المنطق -إذن من هنا نتساءل كيف ذلك؟ وماهي مكانة هذه المبادئ داخل المنطق أولاً، والميتافيزيكا لاحقاً؟ وماهي الوظيفة التي أوكلمها لها أرسطو في المعرفة المنطقية؟ وهل كانت آثارها إيجابية أم سلبية على المنطق؟

8. إشكالية المنطق والمبادئ الأساسية للعقل:

يعتبر أرسطو، الفيلسوف الأول الذي وضَعَ نِظَاماً للفكر، مستقلاً عن محتواه ولقد ركَّزَ أرسطو على الشكل دون الموضوع، ولهذا سُمِّيَ بالمنطق الشكلي، وفي هذا الصدد يقول (بيتر كوترمان) (Peter Kunzmann): "لقد أصبح المنطق الأرسطي بمثابة الدعامة والأساس للمنطق التقليدي، ويُعتبر (بيار الإسباني) و(بُورويس) هما اللذان رَوَّجَا إلى هذه المنظومة المنطقية في أوروبا وذلك في القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادي". (Aristotle, 1975,

9. ما هي الموضوعات الأساسية التي تناولها أرسطو في المنطق؟

يُعتبر المفهوم نقطة المركز التي ينطلق منها أرسطو في دراسته لعلم المنطق، ويحتل المفهوم المكانة الرئيسية داخل المعرفة المنطقية، فالمفهوم هو وحده الذي يتحوّل إلى مقولة (Catégorie) وهو الذي يُحدّد ماهية المقولة، وفي هي الصدد يقول أرسطو في كتابه الأورغانون: "إنّ التعابير، وبدون أيّة علاقة، تعني الجوهر، الكم، الكيف، العلاقة، المكان، الزمان، الوضع، الملكية، الفعل، الهوى" (Aristotle, 1975, p. 58)

-وترتبط عادةً الكلمات فيما بينها لتكوّن جُملاً، وهذه الأخيرة بدورها تُؤلف أحكاماً تُعبّر إما عن الصدق أو الكذب، وهذه الأحكام ترتبط فيما بينها داخل نظام صارم من القواعد، ودقيق في الترتيب والمنهج، لتُشكل هكذا قضايا، وقد وَضَحَ أرسطو ذلك في كتابه الشهير "التحليلات الأولى".

والعلاقة التي تربط حكمين بحكم ثالث سمّاها أرسطو بالقياس، وفي هذا الصدد يُعرّف دائماً في كتابه "الأورغانون"، وبالضبط في التحليلات الأولى القياس قائلاً: "إذا كانت أ تُثبت الكُل الموجود في ب، وب تُثبت الكُل الموجود في ج، فإنه بالضرورة أ يُثبت الكُل في ج [...] إنّي أُسمّي ذلك قياساً". (Aristotle, 1975, p. 59)

-وسنُسمّي لاحقاً أ محمولاً، ب الحد الأوسط وج الموضوع، ويكون القياس الكلاسيكي على الشكل التالي:

- كل إنسان فان.

- سقراط إنسان.

- إذن سقراط فان.

-إذ سمّى أرسطو الجملة الأولى والثانية مقدمتين كبرى وصغرى والثالثة سمّاها نتيجة و(إنسان) حدّ أوسط، يتكرر في كلتا المقدمتين، ويختفي في النتيجة لأن وظيفته الربط بين الحد الأكبر والحد الأصغر، وتسلسل القضايا سمّاها أرسطو بالبرهان أو الاستدلال ومنهجها استنباطي ينتقل من العام إلى الخاص أو من الكُل إلى الجزء وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن وظيفة العلم هي استنباط ضروري لحقائق مرتبطة بعِلّة سابقة". (Aristotle, 1975, p. 61) وحتى الدليل أي دليل البرهنة مستنبط، ويعتبر أرسطو الاستقراء هو مقابل للاستنباط،

وفي هذا الصدد نجده يَصِفُهُ في كتابه الطوبيقا بما يلي: "الاستقراء هو انتقال من الخاص للوصول إلى القضايا العامة". (Aristotle, 1979, p. 18)

وفي مقابل أفلاطون نجد أرسطو يُخَالِفُهُ في تطوّر المعرفة، وفي هذا الصدد نجده يقول مضاداً أستاذه أفلاطون قائلاً: "إن تطوّر المعرفة قد يَمُرُّ من الاستقراء إلى الاستنباط، ومن اليقيني أن يكون الاستنباط ضروري للعلم وأنّ استنتاج الخاص من العام، والعام من الخاص هو جوهر العلم الحقيقي". (Aristotle, 1975, p. 65)

-ويواصل أرسطو تحليل منظومته المنطقية قائلاً: "إن اليقين في العلم يُستخلص عن طريق الاستقراء، باعتبار أنّ هذا الأخير يبحث عمّا هو موجود بداخل الحدس المشترك، وبداخل كل نوع وتصنيف كلّ موجودٍ أُسميه تعريفاً، ومن خلاله أُحدّد الاختلافات الموجودة بين الموجودات، ومن هنا لَنّا كاملَ الإمكانية في تصنيف كل الموجودات". (Aristotle, 1975, p. 66)

-وإنّ العلاقة الموجودة بين السابق واللاحق قد تعكس من الاستقراء إلى الاستنباط ومن الاستنباط إلى الاستقراء، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إنّ الكل الشمولي السابق منطقياً عن الجزء قد يُعرف من خلاله، بالرغم من أنه هو الأخير في العملية الاستنباطية، وكل ما هو سابق عن الأشياء أُسميه مبدأً". (Aristotle, 1975, p. 69)

وفي هذا الصدد يُعرّف أرسطو المبدأ بقوله: "إن مبدأ البرهنة هو قضية مُباشرة، وكل ما هو مُبَاشِر ليس له سابق". وهذا كُلُّهُ يدفعنا إلى النزول درجات إلى الأسفل بعد معرفتنا للمبدأ، لأنه يُمثّل ما هو سابق وما هو أعلى وما هو أرقى، وهو البداية والأصل، وكل ما يأتي سابقاً للمبدأ يُسميه أرسطو بمبدأ التناقض وفي هذا الصدد يقول أرسطو "من غير الممكن أن يكون نفس المحمول ينتهي ولا ينتهي في نفس الزمان لشيء ما، وفي نفس العلاقة". (Aristotle, 1975, p. 70)

ماهي طبيعة المبادئ الأساسية للعقل عند أرسطو وماهي وظيفتها على المعرفة المنطقية؟
-تُعتبر المبادئ الأساسية للعقل عند أرسطو من المفاهيم الحيوية داخل المنظومة المنطقية واعتبرها بمثابة روح المنطق.

-ومن الصعوبات الأساسية في فلسفة أرسطو هي تلك العلاقة الممكنة بين المنطق ونظرية المعرفة، باعتبار أن المعرفة مُستَقاة من أصلٍ يختلف عن المنطق، لكن بالرغم من ذلك

يَلْتَقِيَانِ كِلَاهُمَا فِي بَعْضِ النِّقَاطِ الْمَشْتَرَكَةِ، كِبْدَاهَةُ بَعْضِ الْقَضَايَا، وَكِلَاهُمَا يَسْتَعْمَلُ الْإِسْتِدْلَالَ الْعَقْلِيَّ، وَالْإِسْتِقْرَاءَ التَّجْرِيبيَّ لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقَائِقِ، وَمِنْ هُنَا وَجِبَ أَنْ نَتَسَاءَلَ: مَا هِيَ الْعِلَاقَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ بَيْنَ مَعْرِفَةِ بِالْقَضَايَا الْكَلِّيَّةِ وَمَعْرِفَةِ بِالْحَسِّ وَالْإِسْتِقْرَاءِ؟ -لَقَدْ أَشْرَكَ أَرِسْطُو وَبِمَعْنَى آخَرَ وَضَعَ عِلَاقَةَ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَ شُمُولِيَّةٍ وَكَلِّيَانِيَّةٍ رَغْبَةَ الْمَعْرِفَةِ وَلَذَةِ الْحَسِّ، وَفِي هَذَا الْمَجَالِ يُؤَكِّدُ فِي كِتَابِهِ "الْمِيتَافِيزِيقَا" قَائِلًا: "إِنَّ كُلَّ النَّاسِ بِالطَّبِيعَةِ يَرِغِبُونَ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَهَذَا مَا تَبَيَّنَ وَتَوَضَّحَ أَوْ تَظْهَرُ اللَّذَةُ الَّتِي يُولِّدُهَا الْإِحْسَاسُ. (Aristotle, 1979, p. 81)

-نَسْتَنْتِجُ مَعَ أَرِسْطُو أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الْعِلْمُ بِالْكَلِّيَّاتِ أَيْ مَوْضُوعُهُ الْقَضَايَا الْعَامَّةُ، وَالْحَسُّ فِي الْمَقَابِلِ يَهْتَمُّ بِالصِّفَاتِ الْجَزْئِيَّةِ وَالْجَوَاهِرِ الْفَرْدِيَّةِ الَّتِي تَعْتَبَرُ ضَرُورِيَّةً وَإِلْزَامِيَّةً لِلْعِلْمِ، وَفِي هَذَا الْمَجَالِ يَقُولُ أَرِسْطُو: "إِنَّهُ مِنَ الْوَاضِحِ إِذَا حَدَّثَ خَطَأً فِي اسْتِعْمَالِ الْحَسِّ، فَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ الْعِلْمُ يَخْتَفِي، وَمِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ اكْتِسَابُهُ". (Aristotle, 1979, p. 55)

-وَنَسْتَنْبِطُ مِنْ كُلِّ هَذَا أَنَّ الْحَسَّ يَلْعَبُ دَوْرًا أَسَاسِيًّا وَمُهِّمًا فِي تَكْوِينِ عِلْمٍ مَوْضُوعُهُ الْكُلُّ وَالشُّمُولُ وَالْعَامُ، وَلَقَدْ مَيَّزَ أَرِسْطُو وَوَضَعَ حَدًّا فَاصِلًا بَيْنَ الْخَصَائِصِ الْجَوْهَرِيَّةِ الْمَاهِيَّةِ وَالْخَصَائِصِ الْعَرَضِيَّةِ الْمُتَغَيِّرَةِ، وَمِنْ هُنَا طَرَحَ أَرِسْطُو السُّؤَالَ: مَنْ هِيَ؟ إِنَّ هَذَا السُّؤَالَ يَتَمَرَّكُزُ أَوْ بِتَعْبِيرٍ أَدْقٍ يَأْخُذُ مِنْ مَفْهُومِ الْمَاهِيَّةِ مَوْضُوعًا لَهُ. وَيَطْرَحُ سُّؤَالَآ آخَرَ مُكَمِّلًا لِلسُّؤَالَ الْأَوَّلِ: كَيْفَ هِيَ؟

-وَهُنَا يَتَمَرَّكُزُ هَذَا السُّؤَالَ حَوْلَ مَفْهُومِ الْمَاهِيَّةِ الْجَزْئِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ، بِاعْتِبَارِ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ تَلْعَبُ دَوْرًا فِي بِنَاءِ الْعِلْمِ.

وَلِلْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالَ، نَجِدُ أَرِسْطُو يَرَى أَنَّ الْجَوْهَرَ الْجَزْئِيَّ أَوْ الْفَرْدِيَّ لَا يُمْكِنُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ تَكُونَ لَهُ كَثْرَةٌ فِي التَّحْدِيدَاتِ وَالتَّجْلِيَّاتِ وَبِمَعْنَى أَكْثَرِ عُمَقًا غَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّجْزِئَةِ وَالتَّفَرُّعِ وَالْإِنْقِسَامِ، وَبِمَعْنَى آخَرَ لَا يَمْلِكُ مَحْمُولَاتٍ كَثِيرَةً، بَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي مَحْمُولِهِ وَفِي صِفَتِهِ، وَحَتَّى هَذَا الْمَحْمُولُ نَجِدُهُ عِنْدَ أَرِسْطُو يَمْلِكُ صِفَةَ الْعَرَضِيَّةِ وَالتَّغْيُرِ.

أَمَّا الْمَاهِيَّةُ الْجَوْهَرِيَّةُ فَهِيَ عَكْسُ ذَلِكَ كَثِيرَةُ التَّجْلِيَّاتِ وَالتَّحْدِيدَاتِ، قَابِلَةٌ لِلْإِنْقِسَامِ وَالتَّجْزِئَةِ، وَتَمْلِكُ أَكْثَرَ مِنْ مَحْمُولٍ، لِأَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ وَالْبَدَايَةُ وَفِي هَذَا الصَّدَدِ يَقُولُ أَرِسْطُو: "إِنَّ الْحَسَّ بِاعْتِبَارِهِ يَلْعَبُ دَوْرًا أَسَاسِيًّا فِي بِنَاءِ الْعِلْمِ فَهُوَ لَا يَفْتَرِضُ فَقَطْ أَنْ يُوصِّلَنَا إِلَى

العوارض بل عكس ذلك هو بحث عن إمكانية تضمن لنا الوصول إلى الجوهر الأول باعتباره مبدأً أساسياً". (Aristotle, 1979, p. 56)

-ويواصل أرسطو مُبَيِّنًا جدلية العلاقة بين الجواهر الأولى والجواهر العرضية قائلا: "إن الجواهر الفردية أو الثانوية هي التي توصلنا إلى الجوهر الأول، وفي المقابل هذا الجوهر الأول تتفرع منه هذه الجواهر الجزئية، وكلها مهمة وأساسية في بناء المعرفة". (Aristotle, 1979, p. 57)

-وما يعبر عن ذلك عند أرسطو هو القياس المقولاتي (Le syllogisme catégorique) فهذا القياس بالذات وبالضبط هو الذي يُعَبِّرُ وَيُشِيرُ ويمثل كذلك فكرة السببية الماهوية، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إنَّ هذا القياس هو أداة لإظهار شكل السببية الماهوية الموجودة في الموضوع، وليس واسطة لإكتشافها". (Aristotle, 1979, p. 59)

إنَّ عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى في المعرفة لا يمكنها أن تحقق أو تنتج علما إلا عن طريق أو بواسطة المعرفة البرهانية المُؤَسَّسة على عالم الأشياء والموضوعات، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن المعرفة بالأشياء أو الموضوعات معرفة صحيحة أولية ومباشرة ومعروفة وسابقة وبمثابة سبب لنتيجة وترتبط بها المبادئ الأولى كارتباط السبب بالمسبب". (Aristotle, 1979, p. 61)

إن المبادئ الأساسية التي تم تعريفها سابقا هي بمثابة قضايا أولية لا تشتق ولا تصدر عن أي قضية أخرى، إنها معروفة أكثر من النظريات التي تستنبط منها، فقد تكون إما بديهيات مثل بديهة الثالث المرفوع أو تعريفات مرتبطة بمعنى الحدود والمصطلحات أو فرضيات تحمل طابع الأفكار المُسَبَّقة وإذا كانت هذه القضايا الحقيقية والمباشرة سابقة عن النتيجة وتساعد في عملية الشرح والتفسير فمعنى ذلك أنها تتضمن الأسباب والعلل الأولى المُعَبَّرُ عنها في القضايا، وبدونها لا يمكن أن نبرر معرفتنا بالقضايا والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمقدمات، وهكذا نستنتج مع أرسطو: "ينتج عن ذلك أن هذه القضايا تكون علما تَجْمَعُ مجموعة من الروابط السببية". (Aristotle, 1979, p. 99)

-إن التطور البنائي للعلم ماهو إلا قياس من وجهة نظر أرسطو، ومن خلاله أي القياس لا نكتشف السبب أو العلة وإنما فقط نضعها أو نَصُوغُها في شكل معين، وعدم اكتشافنا للعلل يطرح مشكلة معقدة في المعرفة تتمثل في بداية أو أصل المعرفة، ومن هنا نتساءل: كيف

يمكننا اكتساب المعارف الأولى؟ وبتعبير آخر، ضمن أي بناء هَرَمِي يمكن أن نؤسس للمعرفة؟ -إنَّ أرسطو يؤكد في الفصل الثاني من كتابه "التحليلات" على مبدئين أساسيين ومباشرين في المعرفة، لكن الصعوبة تكمن في إمكانية معرفة مدى يقينية هذه المبادئ مع النتائج المحصل عليها، بصياغة تساؤلية نعبر عن ذلك بهل المبادئ الأساسية تتطابق تطابقاً أصلياً وخالصاً مع نتائجها (أي مع نتائج البرهان)؟

وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إذا عرفنا هذه المبادئ الأولى، وعَرَفْنَا تطابقها الخالص مع النتائج، فإننا وبشكل آلي سنملك معرفة دقيقة بالبرهان" (Aristotle, 1979, p. 100)، ويُضِيفُ أرسطو قائلاً: "إن هذه المبادئ لا يمكنها أن تولد لدينا بعيداً عن معرفة ما أو عن عادةٍ ما، فإنه من الضروري وجوب امتلاك بعض القوة تساعدنا على تحديد هذه المبادئ". (Aristotle, 1979, p. 101)

-نستنتج من ذلك أن هذه القوة التي يتكلم عنها أرسطو يقصدُ بها إمكانية القدرة على التمييز بين ماهو صحيح وماهو خاطئ، وحسب أرسطو أين توجد هذه القوة؟

-إن هذه القوة في تصور أرسطو توجد الجِسْم الذي يمتلكه كل الحيوانات بشكل طبيعي، إذ يقول: "إن الحيوانات تمتلك هذا الإحساس وتحافظ عليه في الروح تحت تأثير التكرار، وتحديث الفرق فيما بينها، في الآثار التي تبقى، وهي التي تَكُونُ المفهوم أو اللوغوس، وهكذا فإن الإحساس يوجد الذاكرة، والتكرار الموجود فيها، وهذه الآثار المستقاة من التجربة لها عدد كبير من الذكريات تُوجَدُها في تجربة واحدة وهذه التجربة أي الكل الثابت الموجود في الروح هي الذي يُشَتَّقُ منه العلم وعلم الوجود" (Aristotle, 1979, p. 103)

-إن أرسطو يركز على دور العادة في بناء المعرفة وتحقيقها، ولقد عرفنا سابقاً أو أعلاه أنَّ العادة مصدرها الحس.

-وفي هذا المجال يقول أرسطو: "إن الإحساس هو الذي يُعطينا مجالاً وطريقاً للوصول إلى المقدمات الأولى، هذا الإحساس الذي سَيَنْتَشِرُ بذواتنا عن طريق استعداد عقلي هو الحدس

الذي يساعدنا على إدراك العلاقة الموجودة بين الأشياء والتحكم في عِلَلِهَا" وفَهْمُ معانيها، ويتوسَّعُ هذا المعنى أكثر فأكثر عن طريق الاستقراء". (Aristotle, 1979, p. 103)

-ويضيف أرسطو إلى هذا كَلَّةَ حيوية الفكر، الذاكرة والتجربة، كأدوات مساعدة لتحصيل وبناء العلم، هذه هي الحلول التي يُعطيها لإكتشاف الجوهر الأساسي الأول، هذا الأخير الذي تحضر فيه وتصاحبه بشكل داخلي ومُخَايِث الأسباب التي تُشكِّل فكرة الماهية باعتبارها تهتم بالصفات الثابتة للشيء أو الموضوع، وبتقرير أرسطو لأهمية الإحساس، وتأكيدده على الدور الذي يلعبه في المعرفة، فإننا نجدُه يُنكِزُ دور القدرات الفكرية وما تلعبه في تعقيل محتوى المعرفة، ومن هُنَا، فإننا نجدُه يَرْفُضُ الحل الذي تعطيه النزعة الفكرية في اكتساب المعرفة وهذه إشارة صريحة ضد نظرية المثل الأفلاطونية التي تعتبر التذكر أي تذكر الحقائق المكتسبة موجود فينا بالفطرة، وفي هذا الصدد نجد أرسطو يقول: "إن الدور الذي يلعبه الحس في بناء المعرفة لا يطرح مشاكل جَمَّةَ باعتباره يتعامل مع الجوهر الفردي الذي يوجد في مكان وزمان مُحدد". (Aristotle, 1979, p. 105)

-لكن على حد تعبيره: "فإن إمكانية هذه المعرفة المكتسبة عن طريق الحس، تبقى معرفة جزئية، وإن المعرفة الحقيقية هي معرفة بالكليات، باعتبار أن هذه الأخيرة لا ترتبط بأي مكان، وبأي زمان، فعكس ذلك هي موجودة في كل زمان ومكان، ومن هنا كذلك فإن عملية البرهنة تكون شمولية وعامة". (Aristotle, 1979, p. 107)

-نستنتج من ذلك أن البرهان باعتباره كلي وعام، فإنه لا يمكننا إدراكه عن طريق الحس مباشرة، فعلى سبيل المثال قد نُدرك ظاهرة الكُسُوف، لكن بالعكس لا نستطيع إدراك ومعرفة سبب هذه الظاهرة، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لا يمكن اعتبار الحس طريقا للعلم؟

-إن الحل الذي يقترحه أرسطو من خلال قوله: "إذا كان الحس لا يُوصلنا إلى العلم فهذا لا يعني أن الملاحظة المكررة حول حادثة ما لا يمكنها أن توصلنا إلى الكل، بل على العكس من ذلك فإن الكثرة هي التي تحدد وتستخرج الكل". (Aristotle, 1979, p. 108)

وهكذا فإن المعرفة الكلية والشمولية قد تكتسب عن طريق الملاحظة داخل مسار وصيرورة الاستقراء، وذلك بملاحظتنا لتكرار بعض الظواهر، وفي هذا المجال يقول أرسطو: "إننا نصل إلى إدراك الكل انطلاقا من تكرار التجارب الخاصة والجزئية التي نُجَزِّئُها من خلال التصورات

العامّة، وتظهر قيمة الكل باعتباره يُظهر وبشكل بدائي العِلَل والأسباب، وبتحديدّها للعِلّة والعلاقات التي تُقيّمها مع الأجزاء الأخرى الموجودة في الجنس، فإن المعرفة بما هو عام تعتبر أكثر قيمة من المعرفة المأخوذة من الجنس أو الجنس " (Aristotle, 1979, p. 109)

-ونستنتج من ذلك أن تطوّر المعرفة عند أرسطو يخضع لضرورة ذات نظام سيكولوجي مصدره الحس، وبقرائنا للوصف الدقيق الذي يعطيه أرسطو لهذه الصيرورة، فإننا نجد يتعارض تعارضاً جذرياً مع الفكر الأفلاطوني وفي هذا الموضوع يقول أرسطو: "إذا كان الوجود الفردي هو موضوع الجنس، فإنّ المبدأ الأساسي هنا ينتهي إلى المبدأ الأساسي المتمثل في الروح والذي يتجلى من خلال مفهوم الإنسان كصورة كلية، وليس كإنسان جزئي مثل: (كَلْيَاس)، ثم يحدث العكس أو العكس صحيح، بحيث يجري تَوَقُّفٌ جديد داخل هذه الكليات بالتدرج، حتى نَصِلَ إلى تجزئٍ جديد لها". (Aristotle, 1979, p. 110)

-نستخلص من هذا أن الحس يؤدي وبشكل بنائي إلى إدراك الجوهر الفردي (سقراط) ثم جوهر النوع (إنسان) ثم جوهر الجنس (حيوان) وهي كلها أشكال وأسماء كلية تساعدنا للوصول إلى المعرفة، ولكن الصعوبة تبقى قائمة عندما نبحث عن الاستعدادات المعرفية والذهنية التي تساعدنا على اكتساب المعرفة، فأرسطو يُسعى في بعض الأحيان ملكة تعلم واكتساب المعارف بحيوية الفكر، وفي هذا المجال يقول: "إنها ملكة تكتشف بشكل مؤقت وظرفي الحد الأوسط، ومن هنا فهي استعداد فكري". (Aristotle, 1979, p. 111)

-ويواصل أرسطو تحليل هذا الموضوع، قائلاً: "عندما نبصر القمر يلمع باتجاه الشمس، فإننا نتخيل أن سبب هذه الظاهرة هو أنها تحصل على النور من الشمس، وإذا لاحظنا شخصاً ما يتكلم مع إنسان غني، فإننا نتخيل أنه يطلب منه سلف لمبلغ من المال". (Aristotle, 1979, p. 111)

-لقد وَضَحَ أرسطو في بحثه عن مصدر إكتساب المعرفة أن مبادئ العلم مكتسبة عن طريق صيرورة استقرائية، ويركز على نقطة مهمة مفادها أن الاستقراء نظام كامل في بناء العلم عندما تكون جميع عناصره مدروسة تفصيلية ودقيقة ومن هنا يتحول البرهان الاستقرائي إلى قياس.

-نستنتج من هذا أن الاستقراء يلعب دورًا أساسيًا في نظرية المعرفة الأرسطية، ويعتبر أساسًا ذا أهمية في بناء العلم، وبالاخص عندما يكون بمثابة أداة توصلنا إلى المعرفة بالكليات والمقدمات الكبرى والتي يكون البرهان مستخلصا منها ومبنيا على أساسها.

-وفي هذا الصدد يقول: "فإذا كان من البديهي ومن الضروري أن يُوصَلنا الاستقراء إلى معرفة المبدأ الأول، فإن الحس ينتج فينا ماهو عام وكلي". (Aristotle, 1979, p. 113)

-لكن العلاقة الموجودة بين الاستقراء ونحن أي ذواتنا والتي نعبر عنها عادة بالحدس تلقى صعوبات في التحديد، وفي هذا المجال يواصل أرسطو اعترافاته بهشاشة الاستقراء من الناحية الظاهرية باعتباره لا يعطينا معرفة بالمبادئ، بل يجب أن يضاف إليه شيء آخر ليكون كاملاً، ويتمثل في الاستعداد الفكري للذات المرتبط بإدراك وفهم الظواهر، ومن العوائق التي تواجه الاستقراء هي مشكلة الخطأ،

الحقيقية قد توقعنا في الخطأ، فيصبح العلم مجرد رأي لا استدلال، ويبنى العلم الحقيقي بتركيب بين الحدس ونحن المتمثلة في الفكر، وكل ماهو خارج (نحن) ليس دقيقاً". (Aristotle, 1979, p. 114)

فالأستقراء قد يكون خاطئاً أما نحن أي ذواتنا لا نخطئ، وفي هذا المجال يقول: "إن عادات ملكة الفهم التي ندرك من خلالها

-ويواصل أرسطو تحليله لعملية بناء المعارف انطلاقاً من الأسس العقلية، باعتبارها مبادئ مهمة في بناء المعرفة بقوله: "إننا نعرف المبادئ أكثر من البرهان، وكل علم هو علم بالاستنباط وإن العلم الحقيقي هو علم بالمبادئ الأولى، ويتبع ذلك أنه خارج ذواتنا لا وجود لعلم حقيقي وأن العلم يوجد فينا نحن، ونحن بإمكاننا معرفة هذه المبادئ التي تحركه وتبنيه" (Aristotle, 1979, p. 116)

-ويظهر من ذلك أن ما يعارض ويتعارض مع ذواتنا هو ذلك الاستعداد الفكري والعقلي الذي يساعدنا على اكتساب المبادئ أو شروط العلم التي تكون إما مستنبطة أو مبرهن عليها، والتي تُؤلف في مجموعها نظام العلم، لكن أرسطو يركز ويؤكد على قوة البرهنة، ولا العلم مبدأ للعلم ولتوضيح ذلك، فإنه يؤسس عملية البناء العلمي على عنصر علمي آخر يتمثل في حالتنا النهضة مرتبط بمعرفة المبادئ وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن التصور التقليدي

الذي يرى أن المبادئ تعرف عن طريق صيرورة الاستقراء وتنتهي إلى حدس عقلي لا تعطي الشرعية للنظام العلمي، وذلك مرجعه تعقد الظواهر". (Aristotle, 1979, p. 117)
-ومن هنا يميز أرسطو بوضوح بين سؤالين ومطلبين أساسيين الأول يتمثل في:
-ماهو الطريق أو المنهج الذي يمكننا من الوصول إلى معرفة المبادئ؟
-فكان جواب أرسطو بكل تأكيد هو الاستقراء.
وأما السؤال الثاني يتمثل في: ماهي طبيعة الاستعداد الذهني الذي يساعدنا على اكتساب المبادئ الأولى؟

-فكان جواب أرسطو بكل وضوح هو ذواتنا أي (نحن).
-وينتج عن ذلك أن المبادئ تدرك لكن لا يمكن البرهنة عليها، فهي واضحة بذاتها ومن هذا المنظور فهو يرفض التصور العقلي الفطري المتمثل في فلسفة أفلاطون هذا الأخير الذي يرى أنه بإمكاننا معرفة المبادئ الأولى، لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا هو: هل هذه المبادئ تملك محتوى مفاهيمي أم لا؟

-وهل بإمكانها أن تصبغ قضايا منطقية؟
-وفي هذا الصدد أقام أرسطو علاقة تعارض واضحة ومحددة بين معرفة الواقعة وبين السبب عكس أفلاطون الذي رفض إمكانية المعرفة الحسية المرتبطة بالوقائع والحوادث، ورفض القول بمعرفة ذات طابع إمبريقي مستقلة عن المعرفة العقلية.
-ويواصل أرسطو مؤكدا على وجود معرفة مرتبطة بالواقعة مختلفة ومتميزة تماما عن المعرفة السببية، وفي هذا المجال نجده يقول: "إن المعرفة المرتبطة بالواقعة تشير على سبيل المثال إلى قرب الكواكب، لهذا فهي لا تلمع ولا تنير، ومن هذا تنتج القضية التالية: كل ما لا ينير فهو قريب وهذه القضية تحصلنا عليها بواسطة الاستقراء، وبتعبير آخر جاءتنا عن طريق التعميم انطلاقا من الإحساسات المقارنة، وإن هذا النوع من القياس لا يتضمن السؤال: كيف ذلك؟ وإنما يرتبط مباشرة بالواقعة". (Aristotle, 1979, p. 118)

-وبالمقابل وفي نص آخر نجده يقول: "إن المعرفة بالسبب تُبرهن على الآثار والنتائج بالسبب أو عن طريق السؤال كيف ذلك؟ وفي هذه الحالة فإن الاستدلال يتطور على الشكل التالي: كل ما هو قريب لا ينير لكن الكواكب قريبة إذن الكواكب لا تنير، وإن المعرفة بالسبب يحدد الحد الأوسط كسبب للظاهرة وهو غايتها القصوى" (Aristotle, 1979, p. 119)

-إن الحد الأوسط في القياس الأرسطي متعدد الوظائف فهو من جهة يمثل الصلة أو السبب ومن جهة أخرى يمثل الجنس، وفي حالة أخرى يمثل الجوهر الشكلي القريب، هذا في حالة المعرفة بالسبب، لكن في المقابل عندما تكون المعرفة بالواقعة، فإن الحد الأوسط يتحول إلى مفهوم النوع.

-إلاَّ أنَّ فكرة تقبل معرفة إمبريقية موضوعها الوقائع العرضية المتغيرة والخاصة أو الجزئية (بعض المجالات المعرفية مثل التاريخ تركز على الوقائع الخاصة) وإن هذا ما يلقي ويمثل صعوبة في المشروع الأرسطي، الذي يرى أن المعرفة الحقة هي المعرفة بالماهيات، وهذا يطرح موضوعاً آخر يتمثل في علاقة المعرفة بفكرة السببية وفكرة الضرورة، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "يجب التمييز بين مكانة الضرورة في المعرفة وبين مكانة الضرورة داخل موضوعات هذه المعرفة، فبعض الأشياء الموجودة تعتبر غير ضرورية لكن في المقابل نجدها تمتلك خصائص تجعل منها موضوعاً لمعرفة ضرورية، ونفس الاستدلال ينطبق على السببية الكونية، وفي هذا المعنى بالذات قد تكون المعرفة كونية شمولية أو كلية تارة وتارة أخرى، فهي غير ذلك". (Aristotle, 1979, p. 120)

-والاعتراف بوجود علم بإمكانه الإكتفاء ببعض أشكال التعميم، يعني أو معناه أنه بإمكاننا أن نستنتج بعض الجزئيات من نموذج عقلي موحد بينها، أي بين العام والخاص.
-إن نظرية أرسطو حول مفهوم البرهنة والعلم تعتبر المرحلة النهائية لإكتمال فلسفة المعرفة لديه، ونجد تجلياتها من حيث الموضوع والمنهج في كتابة (التحليلات الثانية) أمّا في كتابه (التحليلات الأولى) فنجده يعرض عرضاً مفصلاً للمنطق، وفي هذا الصدد نجده يُعرّف العلم قائلاً: "إنه مشروع يُنسَقُ وَيُنَظَّمُ ظواهر المعرفة وموضوعاتها" (Aristotle, 1979, p. 123)
-لكن القضايا التي تؤسس هذا المشروع أي العلم يجب أن تتوفر على مجموعة من الخصائص والصفات

-وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن معرفتنا بالشيء تعني معرفتنا بالأسباب والعلل التي تحكمه، وفي نفس الوقت إن هذه المعرفة يجب أن تكون (هي كما هي، ولا بشكل آخر مُغَايِرٌ، وإن معرفتنا بالشيء تكون عن طريق البرهنة أو ما يسمى بالقياس العلمي إن هذان الشرطان هما اللذان يجب أن يَحْكُمَا العلم". (Aristotle, 1979, p. 124)

-ولفهم الطموح الأرسطي في مجال العلم يجب أن نعرف حقيقة مهمة لديه وهي أنّ كل يفسر في المعرفة معناه معرفة بالأسباب، وفي هذا الصدد يقول: "يجب أن نذكر أن معرفة السبب لا تعني فقط معرفة لماذا هذا الشيء هو هكذا على هذه الطبيعة، وفي نفس الوقت يُفسر ما قبله، ولهذا يعتبر الحد الأوسط هو العلة في القياس العلمي.

-إن فكرة السبب بما أنها هي إدراك مادي للشيء فهي تملك قيمة من أجل التفسير" (Aristotle, 1979, p. 125)

ولهذا فإن أرسطو حَاولَ أن يعرف لماذا (أ هي ب)؟ أي بحث في العلاقة التي تربط (أ) ب (ب) والتي تجمع بين (أ) و(ب) والحد الأوسط هو الذي يمثل هذه العلة، ويفرّق أرسطو بين السبب المادي والسبب الصوري، فالسبب المادي يعتبر كذلك حدًا أوسطًا: ويُشيرُ إلى السؤال التالي: لماذا يمتلك هذا الشيء أو غيره هذه الخصائص دون غيره؟ وأما السبب الصوري فكذلك يُعتبر حدًا أوسطًا لأنه يُعبّر عن السبب الذي جعل حالت هذه الأشياء.

- كما هي عليه، إنها بمثابة ماهية الأشياء، ويضيف إلى ذلك سببا ثالثا سماه السبب الغائي - ومن خلاله نكوّن معرفة عن غاية الأشياء دون أن نهمل السبب المحرك الذي يعبر عن القوة المحركة لهذه الأشياء، وفي هذا المجال نجده يقول: "إنّ التفسير العلمي قد يكتفي بعلة واحدة دون العلل الأخرى، وبالخصوص السبب المادي، وإنّ ارتباط واتصال الأسباب فيما بينها هو الذي يسمح لنا بطرح السؤال: لماذا الشيء هو على هذه الحالة؟

-ولماذا هذه الخاصية تنتهي إلى هذا الشيء دون غيره؟". (Aristotle, 1979, p. 129)

-لكن في بعض المجالات والنشاطات المعرفية نجد نموذجا واحدا من السببية هو المسيطر وهو المؤسس لحقائق هذه المعارف حتى وإن كانت الأسباب الغائية متعددة، ولقد ربط أرسطو التفسير الفيزيائي وأشركه بعلم المنطق لهذا فإن البحث والاكتشاف والتعرف على الأسباب وتعريفها يعتبر كل هذا الموضوع الأوّل الذي يجب أن ينشغل به رجل العلم، وأبحاثه هذه يبنمها ويشكلها داخل نظام أكسيوماتي يعبر من خلاله عن نتائج بحثه.

-إن النموذج الأرسطي حول المعرفة بالأسباب تنتج من جرائد مشكلتين وذلك مرده طبعاً إلى الطموح الذي كان يراود أرسطو والمتمثل في بناء فلسفة علوم واضحة من حيث الإشكالية، الموضوع، المنهج والمفاهيم وبينه من حيث الأسباب، المبادئ والغايات، وتتجلى المشكلة الأولى أو العائق الأول في إمكانية معرفة واقعة أو شيء ما دون معرفة الأسباب. وإذا عرفنا الأسباب

التي تحكم الشيء ألا يؤدي بنا هذا إلى النكوس والرجوع إلى مالا نهاية أي لا نهائية الأسباب، وفيما يخض النقطة الأولى التي اهتم بها أرسطو بشكل عام وأفلاطون سابقا بشكل خاص، فإنها تدخل ضمن ما يسمى بالإبستيبي أو ما نسميه في العصر الحالي بالمعرفة العلمية أو العلم، وفي هذا المجال يقول أرسطو: "إنَّ هذا لا يتعلق بمؤسسة أو مشروع تبريري مُنَّسق لمجموعة من المعتقدات التي نعتبرها صحيحة، بل بالعكس إنه صيرورة عامة مبدؤها الفهم، أي فهم هذه المعتقدات، ولهذا فإن المعرفة التي تحاول أن تفهم والتي سمينها بالإبستيبي هي ما نسميه كذلك بالعلة أو السبب". (Aristotle, 1979, p. 131)

-وأما فيما يخص النقطة الثانية طبعاً والمتربطة بالمشكل أو العائق الثاني والذي يتمثل في خطر الرجوع أو النكوس إلى مالا نهاية في الأسباب والعلل.

-ولقد حاول أرسطو في دراسته للطبيعة والمادة أن يتحاكى هذه المشكلة ويتجنبها وذلك من خلال محاولة تجنبه أطروحة أنَّ المبادئ قابلة للبرهنة، وذلك خوفاً من الوقوع في خطر مالا نهاية الأسباب، لكن نحن نعرف أنَّ القياس استدلال استنباطي لا يضيف معلومات جديدة لمعلوماتنا، بالرغم من أن الشكل القياسي يسمح لنا ببناء قضايا تكشف الترابط الضروري الموجود في الطبيعة وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إنَّ الطرق التي تسمح لنا بالوصول إلى المبادئ الأولى والتعاريف تعتبر معقدة، فبعض التعريفات تصف لنا الظاهرة مثل

الرعد هو صوت في الغيوم، لكن هناك تعريفات أخرى تكشف عن السبب والماهية، مثل: إنَّ الرعد هو صوت يسببه انطفاء النار في الغيوم". (Aristotle, 1973, p. 21)

10. المنطق والمبادئ الأساسية للعقل:

يعتبر كتاب (الأورغانون) (Organon) تلك الوسيلة التي يعتمد عليها العلم وهو من أهم أعمال أرسطو جمع من خلاله النصوص المنطقية بطابع أكسيوماتي منظم، إذ نجد في النص الأول والثاني تنظيراً وشرحاً لنظرية المقولات والتأويل وبصياغة أخرى نجد أرسطو ومن خلال هذين النصين يضبط ويحدد معنى المصطلحات والقضايا، ففي الفصل الأول من المقولات نجده يميز بين الأشياء المتجانسة والمترادفة،

وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن التجانس مهم وأساسي، داخل نظام علم الموجودات، لأنه يطرح العلاقة فيما بينها بشكل مختلف داخل نظام الوجود" (Aristotle, 1979, p. 19). وإن

المنطق الأرسطي بهذا الشكل حاول إقصاء الغموض والالتباس والإيهام الموجود في الفكر الإنساني.

وفي الجزء الأخير الذي سماه "ضحذ سفسطائي" ضمن الكتاب الأشمل ألا وهو "الأورغانون" نجده أي أرسطو يعدد مختلف الأخطاء والالتباسات التي يقع فيها العقل الإنساني، إذ نجد في هذا الكتاب معجما حقيقيا من المرادفات التي حاول شرحها بدقة وصرامة، وبروح نستشف من خلالها المراقبة لكل مصطلح وضبط كل تصور بشكل منطقي، ولهذا بالضبط نجد المشروع الأرسطي يبني ويؤسس لطموح معرفي تمثل في فهم الواقع انطلاقا من المقولات أو ما يسمى كذلك بالمصطلحات العامة، وهذا ينبع كله من

إرادة معرفية حاول أرسطو مرارا وتكرارا أن يتلخص ويقصي الغموض والالتباس في المفاهيم، المصطلحات والبراهين التي يعتمد عليها العقل في تنظيم وفهم المعارف. ولقد وضع أرسطو قائمة ولوحة للمقولات التي تتضمن المادة، الكم، الكيف، العلاقة، المكان، الزمان، الوضع، الحالة، الفعل والهوى، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن هذه المصطلحات أو المقولات لا تثبت ولا تنفي شيئا ما، وإنما فقط تثبت وتنفي من خلال العلاقة الموجودة فيما بينها" (Aristotle, 1973, p. 31).

وإن مصطلح مقولة قد يصلح كذلك ليكون مرادفا لكلمة أخرى هي المحمول ولقد قسم أرسطو من هذا المنظور المقولات ومن خلال الاستعمال العادي للغة، وفي هذا الصدد نجده يقول ويؤكد: "إن المقولات هي وحدات دلالية تملك معنى أساسي حول الموجودات" (Aristotle, 1973, p. 32).

- لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هذه المقولات تعبر تعبيرا دقيقا عن كل الأبعاد المنطقية والأنطولوجية للإنسان أم العكس؟
- فعندما وضع أرسطو قائمة للمقولات فإنه ضَمَّها إلى قائمة المحمولات، وفي كثير من الحالات يراها هي نفسها محمولات.

وفي كتابه "الأورغانون" نجده يكتب قائلا: "يظهر جليا أن المقولات تعبر عن الواقع ككل، إنها ذات طبيعة أنطولوجية" (Aristotle, 1970, p. 19).

- لكن الاختلافات الموجودة في الطبيعة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الاختلافات الألسنية، وفي هذه الحالة فإن المقولة ماهي إلا مرادف للمحمول. ونفهم من هذا كذلك أن

المقولات تمثل بالنسبة لأرسطو الطبقات القصوى والنهائية التي من خلالها يتوزع وينتظم، الواقع، وأنها بمثابة آلة حرب ضد الأفلاطونية وحتى لو لم يعلم أرسطو نغده للأفلاطونية بشكل صريح، إلا أننا يمكن أن نستنبطه من خلال تقسيمه للوجود إلى مادة وصورة والذي خالف به أستاذه أفلاطون الذي قسم العالم إلى عالم مثل وعالم حس وإن أفلاطون من خلال هذا التقسيم رأى أن عالم المثل من الناحية الأنطولوجية سابق عن عالم الحس، وإنَّ الموضوع الأساسي للأبحاث المنطقية الأرسطية يتمثل في القضايا، وفي كتابه الخامس من "التأويل" نجده يقسم ويميز بين الموضوعات التي تبحث عن المعنى وبين القضايا التي تثبت أو تنفي شيئاً ما في موضوع ما، وفي هذا المجال نجده يقول:

"كل خطاب له معنى ودلالة، ليس كوسيلة طبيعية وإنما عن طريق مبدأ الاتفاق. وبالرغم من أن كل خطاب ليس قضية عامة وإنما فقط القضايا التي تملك معيار الصدق والكذب أو الحقيقية والخطأ هي خطاباً". (Aristotle, 1970, p. 39)

-إن موضوع المنطق الأرسطي مبني في أساسه على مجموعة من القضايا التي إما أن تكون صحيحة أو خاطئة، وبالمقابل فإن الأوامر والصلوات والأسئلة الخ تدخل ضمن علم البلاغة وإن موضوعاً ما يمكنه أن يكون صحيحاً أو خاطئاً في حالة إثباته أو نفيه لشيء ما، وإن هذه القضايا عادة ما تختزل في محمولات في علاقة مع الموضوع، وبواسطة أداة ربط.

وقد تكون الموضوعات إما بسيطة أو مركبة، وقد حلل أرسطو هذا من خلال نصين أساسيين في "الأورغانون" هما: "التحليلات الأولى والثانية" فمن خلال هذا التنظير النصي نجده قد وضع القواعد الأساسية التي تحكم الاستنباط بالرغم من أن هذا المجال المنطقي ليس هو المنطق كاملاً عند أرسطو، وإنما هو جزء منه، ولقد درست نظرية الاستنباط أو القياس حتى نهاية القرن (17) وكأنها اليقين المطلق والحقيقة الوحيدة والممكنة، والدليل على ذلك هو أن كانط وهيغل اعتبرا أنَّ نظرية القياس هي الشكل الأكثر اكتمالاً في المنطق الأرسطي، ولقد أشار أرسطو في التحليلات الأولى لوجود أربعة قضايا وهي:

-قضايا كلية موجبة أو سالبة وقضايا جزئية موجبة أو سالبة، وفي هذا الصدد نجده يقول: "إن القضية الكلية هي قضية نجد فيها المحمول ينتهي أو لا ينتهي لمجموع أفراد الموضوع، وأما القضية الجزئية هي قضية نجد فيها المحمول ينتهي أو لا ينتهي لجزء أو لبعض أو لفرد

من الموضوع فقط". (Aristotle, 1970, p. 41)

وفي المقابل فإن القضية الكلية ليست دائما صحيحة، وهي صحيحة عندما ينتهي المحمول إلى كل أفراد الموضوع، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إنني أقصد "بالمحمول الكلي" ذلك المحمول أو الصفة التي تنتهي إلى الموضوع كما هو في مجموعته، وكما هو ذاته ثابت الأصل والجوهر" (Aristotle, 1970, p. 131)

-وهكذا نستنتج أن كل المحمولات الكلية تنتهي بالضرورة إلى موضوعاتها، وقد ينتهي المحمول إلى موضوع ما بشكل كلي، وذلك عندما ينتهي بشكل أولي إلى هذا الموضوع مثال إن مجموع زوايا هذا المثلث يساوي زاويتين قائمتين غير مطبق بشكل كلي على كل أفراج الموضوع، وتوجد قضايا غير محددة وضعها أرسطو للتعبير عن عدم وضوح انتماء المحمول إما لقضايا كلية أو قضايا جزئية، وفي هذا الصدد نجد أرسطو يكتب قائلا: "إن كل قضية تعبر عن شيء ما ينطبق على شيء آخر، أو تنطبق بالضرورة أو بالممكن". (Aristotle, 1970, p. 119)

هذه الأنماط المحددة من القضايا ستنتج لاحقا بالقضايا الإشكالية أو القضايا الإلزامية أو اليقينية، ومن خلال هذا المنظور فإن القضايا إما أن تكون مركبة (تحتوي على مجموعة من القضايا الحملية البسيطة) وهي إما تثبت أو تنفي، وإما كلية أو جزئية وإما إشكالية أو إلزامية أو يقينية، وبالرغم من أن هذا النمط الأخير نجده عند كانط، وأرسطو هو الذي مهد لذلك، وفي هذا الصدد يقول: "كل إنسان عادل" وفي نفس الوقت "كل إنسان غير عادل" لكنه ليس من الصحيح أن "كل إنسان عادل". (Aristotle, 1973, p. 131)

-مما جعل من أرسطو فيلسوفا ومنطقيا يتكيف ويتمشى مع الإبداعات المنطقية المدنية، لقد استعمل أرسطو حروفا ترميزية للتعبير عن الكلمات أو ما يسمى بلغته الحدود، وذلك من أجل اكتشاف وتحديد العلاقات الموجودة بين الأحكام أو القضايا التي وضع لها قواعد أساسية وصارمة، المتمثلة في قواعد الاستغراق.

هناك عنصر آخر مهم وأساسي أدخله أرسطو في مذهبه المنطقي، ونجده بالضبط في كتابه "التحليلات الأولى" يتمثل في تلك القضايا التي تتشكل من مجموعة من المقدمات بإمكانها أن تفرض ولضرورة منطقية نتيجة، وهذا ما سماه أرسطو بالقياس وفي هذا المجال يقول: "القياس حجة من خلالها تعطى لنا بعض الأشياء، وشيء جديد ومخالف عن الأشياء المعطاة ينتج بالضرورة". (Aristotle, 1973, p. 135)

-وإن النتيجة الصحيحة لا يمكنها أن تستنبط من أي اتحاد بين مقدمتين وقد يحدث أن الاتحاد بين مقدمتين لا يمكن الاستنباط منه أي نتيجة، لهذا اشترط أرسطو في القياس الصحيح مجموعة من القواعد الأساسية منها ما يتعلق بالمقدمات أي القضايا، وأخرى بالحدود وأخرى بالنتيجة، ولهذا السبب بالضبط نجد أرسطو يرتب مجموعة المقدمات في أشكال من القياس الخاصة بها وحسب نمط

يخص كل شكل من هذه الأشكال التي تتحدد انطلاقاً من وضعية الحد الأوسط في كلتا المقدمتين، هذا النظام سماه أرسطو بالأقيسة الذي يعتبر من أهم موضوعات علم المنطق عند أرسطو، ولقد كان طموح أرسطو أكبر من هذا وهو البحث عن مرجعيات وأصول لهذه الأقيسة وربطها بحجج داخل نظام من المقدمات والنتائج معتمداً في ذلك على المبادئ الأساسية للعقل للحفاظ على ذلك الترابط المنطقية بين المقدمات والنتيجة، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن كل الحجج والأقيسة يجب أن تتبع هذه القواعد التي ذكرناها". (Aristotle, 1973, p. 136)

-وإن الكثير من الاستنباطات في طابعها الشكلي لا تتناسب مع النظرية الأرسطية خصوصاً فيما يتعلق ببعض القضايا البسيطة، وهكذا فهي تبقى خارج هذه النظرية فالقياس الأرسطي هو صادق من الناحية الصورية والمنطقية، لكن لا يضمن بالضرورة الصحة الخارجية.

والقياس في شكله المعتاد والمألوف والمتداول يتركب من مقدمتين ونتيجة، وفي الكثير من الأحيان والحالات يجعل منه أرسطو مرجعية، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إن أ تنتهي إلى كل ب، وب تنتهي إلى كل ج إذن أ تنتهي إلى كل ج" (Aristotle, 1973, p. 136) " لكن عادة ما يكون القياس حاملاً لشكل الاستلزام وهذا ما يعبر عنه أرسطو بقوله: "إذا كانت أ تنتهي إلى كل ب وإذا كانت ب تنتهي إلى كل ج، إذن أ تنتهي إلى كل ج". (Aristotle, 1973, p. 137)

-وفي كتابه "التحليلات المنطقية" نجده يعرض لوضوح إلى الشكل العام للقياس ففي الشكل الأول على سبيل المثال لا نجد إلاّ القضايا الكلية الموجبة أو السالبة، ويعبر عن ذلك بقوله: "عندما تكون ثلاثة حدود تعبر عن مجموعة من العلاقات، فإننا نجد الحد الأصغر محتوياً في الحد الأوسط، وهذا الأخير محتوياً أو غير محتوياً في الحد الأكبر فإنه من الضروري أن يكون القياس كاملاً" (Aristotle, 1973, p. 139)

وفي نصٍ آخر، نجده يكتب قائلاً: "إنني أسيي الحد الأوسط ذلك الحد الموجود في حد آخر، ويحتوي على حد بداخله، وأسيي الحد الأكبر هو ذلك الحد في ذاته والموجود في حد آخر، ويحتوي على حد آخر فيه، والذي يشغل وضعية وسيطية". (Aristotle, 1973, p. 137) ويواصل أرسطو في بناءه النظري لقواعد القياس معبرا عن ذلك من خلال قوله: "إذا كان الحد الأكبر ينتهي إلى الحد الأوسط في قضايا كلية، وإذا كان الحد الأوسط لا ينتهي للحد الأصغر في قضايا كلية، فإنه من الضروري لا توجد أقيسة منتجة" (Aristotle, 1973, p. 138)

ولقد رمز أرسطو لذلك بـ أ تنتهي إلى كل ب وب تنتهي إلى كل ج إذن أ تنتهي إلى كل ج، وباعتبار ب تلعب دور الحد الأوسط فإن كل الأقيسة في هذه الحالة غير صادقة: إن مجموع هذه القضايا الثلاث يتلخص ويتوضح في أن أ مثبتة في كل ب، وأ مثبتة في كل ج، إذن ب مثبتة في كل ج " (Aristotle, 1973, p. 138). هذا كله لا يعبر عن قياس صادق ومن بين (256 أقيسة ممكنة لا يوجد منها إلا 24 أقيسة صادقة).

وتعتبر نظرية القياس تطور هام في تاريخ المنطق بالرغم من أن أفلاطون اهتم من قبله بشكلية الاستدلالات وذلك من خلال محاورتيه (الفيدون) و(التييتايوس) لكن يبقى أرسطو هو الذي نظم ومنهَج هذه الأشكال الاستنباطية وأدخل الرموز التي تعتبر عن الحدود، ودرس شروط الصدق والكذب ووضع الحجج الخاصة بكل برهان وأكثر من ذلك فقط وضع قواعد المنطق بشكل كامل، إلا أن القياس الأرسطي لا يعبر إلا عن القضايا التي تملك علاقة التضمن أو اللاتضمن وتعبير آخر لا تدرس مشكلة العلاقات الأخرى، وأكثر من ذلك فإن الرموز التي وضعها أرسطو لا تخص إلا الحدود ولا تنطبق على القضايا، وإن منطق القضايا تطور لاحقا بقرون مع الرواقيين، ولقد أفرز المنطق الأرسطي الكثير والعديد من المشكلات، وهذه الأخيرة ترتبط بالطبع بمكانة القضايا التي تناولها في كتابه الشهير: "من التأويل"، ونعبر عنها من خلال التساؤلات التالية:

-هل كل القضايا المركبة تحتوي على قضايا بسيطة؟ وهل القضايا تستنتج حدين اثنين فقط؟ ضف إلى ذلك: أين نُصنِفُ الأسماء الصحيحة، باعتبارها مقولات. هل نُصنِفُها ضم القضايا الخاصة أو الكلية؟ وما هو السُّلْمُ الاستمولوجية لهذه القضايا داخل نظام العلوم الطبيعية عندما يُعبّر أرسطو بالطبيعة هذا الحيوان هو كذا وكذا؟ دون أن ننسى الصياغة

العامّة لهذه القضايا، عادة ما نقول أ هي ب، وأنّ حيوان ما ليس هو هكذا، إذن كيف يمكن أن نحل مشكلة الكلي والعام في هذا المنطق؟

11. خاتمة

-إذن هذه مشكلات معاصرة أفرزها عدم تكيّف وتطور المنطق الأرسطي مع التطور الهائل للعلوم والمعارف ويكمل أرسطو مشروعه المنطقي بكتابه "الطوبيقا" هذا العمل الذي جعل من موضوع الجدل عنوانا ومحتوى لهذا المشروع، وبالضبط جعل من الحوار الجدلي أساسا لبناءه النظري وذلك من خلال قضيتين محددين تدوران بين اثنين أحدهما متحدث يحاول الدفاع عن أطروحته ضد حجج الآخر الذي يمثل دور المستمع والمحاجج، إنّ هذا القياس يركز على مقدمات لا تحتوي على أية حقيقة، وإنما فقط على مجموعة من الآراء المحتملة أو وجهات نظر على قيمة ونجدها مشتركة بين طبقات معينة وتمتلك ثقافة كبرى، وفي هذا الصدد يرى أرسطو أنّ هذا الشكل من المناقشة والحوار ليس للجميع وإنما للخاصة وفي هذا العمل نستنتج أشياء كثيرة تخص هذا الكتاب بشكل خاص، والمنطق الأرسطي بشكل عام.

-إن كتاب "الطوبيقا" يعتبره أرسطو من المشاريع الطموحة والمهمة، ويعتبره من جهة أخرى بمثابة عملية تصحيح لأفكارنا وأغاليطنا، وفي هذا الصدد نجده يقول: "كم من مرة في أحاديثنا وحواراتنا تنتج أغاليط عديدة وكثيرة وبأشكال مختلفة، لكن ما الفائدة المرجوة منها، أما فيما يخص الجواب على ذلك فإن هذه الأغاليط هي بمثابة براهين لأحاديثنا، ولتوضيحها والإجابة عنها يجب العودة إلى تفسيراتنا السابقة.

-ولقد طور هذا الجانب من المنطق الجدلي، الفيلسوف الألماني "هيجل" الذي طبقه بدوره على المعرفة المنطقية، وكذلك المعرفة بمختلف موضوعاتها سواء كانت مادية أو إنسانية.

12. قائمة المراجع :

Aristote. (1979). *La physique, livre 2, tome 1*. Les belles lettres.

Aristote. (1973). *L'Organon*. Vrin.

Aristote. (1970). *De l'interprétation*. Puf.

Aristote. (1973). *Topique*. Puf.

Aristote. (1980). *La métaphysique, tome 1*. Vrin.

Descartes, R. (1976). *Les principes de la philosophie*. Gallimard.

Kant, E. (1980). *Critique de la raison pure, Analytique transcendantale*. Puf.

Kant, E. (1983). *Logique : Doctrine générale des éléments chapitre (2)*. Vrin.

Kant, E. (1973). *Critique du jugement, Critique du jugement téléologique*. Vrin.

Kanzmann, P., Burkard, F.-P., & Wiedmann, F. (1993). *Atlas de la philosophie, la pochothèque*. Puf.

Kanzmann, P. (1977). *Histoire de la logique en Europe*. Vrin.

Russ, J., & Badal, C. de (2004). *Dictionnaire de philosophie*. Bordas.

Opp-cit.: Russ, J., & Badal, C. de (2004). *Dictionnaire de philosophie*